عبدالجبار اليحيا... جذبته البيئة الشعبية

عبدالرحمن السليمان

■ نظمت قاعة «حوار» في الرياض وهي من أحدث وأهم القاعات الفنية في السعودية للفنان عبدالجبار اليحيا معرضاً استعادياً تضمن عدداً من أعماله تمثل مراحله الفنية كافة. وعرف عن عبدالجبار اليحيا الاهتمام بالبيئة والمكان الشعبي، وهو مثل غيره من الفنانين التشكيليين السعوديين الأوائل اغرته الصورة الشعبية فاتجه اليها موثقاً ومعبراً، وتلازمت هذه الاهتمامات الى فترات متأخرة برزت فيها الحارة والصحراء والمحيط الشعبي، وهو مع هذا الاهتمام كان يسعى الى صيغ أكثر حداثة وتجاوزاً.

تعتبر اهتماماته وتنويعاته طبيعية فهو يتجه بممارساته الى أكثر من تأثير، بينه التجريدي الخالص والواقعي الخالص، وفي المنطقة الوسطى وجدناه أكثر وضوحاً وتفرداً عندما تحققت أعماله الثمانينية. أعماله في عمومها لا تخرج كثيراً عن حضور الشخوص والأبنية التقليدية والمظاهر الحياتية والأحداث أحياناً، وهو بالتالي يتكرس لمواضيع بعينها تحقيقاً لأفكاره الخاصة، فاللوحة برأيه غالباً تحمل قضيتها الاجتماعية والإنسانية. وهو على سبيل المثل سعى، خلال فترة متأخرة من تجربته الفنية، الى طرح قضايا تمس المرأة، فكانت جزءاً في عمله الفني.

واللوحة لديه لا تخلو من شكل انثوي وهي بالتالي بيت قصيده في علاقاتها الاجتماعية ودورها الحياتي. ففي لوحة مثل «البناء» نراه يحقق ببساطة متناهية هذا المضمون الإنساني الذي يرى فيه الدور المشترك لبناء الاسرة والمجتمع والحياة. المرأة والرجل في تلك اللوحة يتلاقيان لتحقيق بناء ما يمكن أن يكون ثقافياً أو اجتماعياً أو حياتياً. أما تقنياته الفنية فهي على بساطتها تحقق الاسلوب الفني الذي تمثل في اعمال اخرى له قد لا تحمل الاتجاه نفسه.

من أعمال اليحيا.

استعاد اليحيا في اعمال خلال العام ٢٠٠٠ اهتماماته المبكرة التي تناول فيها الهندسة وزاوج بينها وبين العنصر البشري وعلى نحو من التلخيص الذي حمل الاهتمام بالتعبير عن المرأة. وتتصف الوجوه في بعض لوحات تلك المرحلة بالبساطة والاختزال الذي يضع العنصر الإنساني ضمن المساحة الهندسية في ليونة خطوطها كما في لوحتيه «القوارير» و «صبا نجد»، لكنه كان مجرداً في لوحته «دوامة» التي لا يتبين فيها الوجه الأنثوي الا كمركز في اللوحة المفعمة بالحركة والخطوط والعلاقات اللونية التي قد تشكل ايحاءات أدمية في سياق معالجاته. ولعل الفنان يكون أكثر صخباً عندما يرسم بكثير من العفوية والارتجال لوحة مثل «زماننا».

لا شك في أن المعرض كان احتفاء بفنان سعودي مهم تجربته الممتدة الى الخمسينات تفتح أفقاً للتعرف على أبرز مراحله وتجاربه الفنية خلال اكثر من نصف قرن، وقد تخللها نشاط فني وثقافي، فهو تعلم الفن في شكل شخصي واعتمد على قراءاته واطلاعاته وأسفاره الخارجية، وساهم في الإعلام المقروء من خلال كتابات نشرها في اكثر من مطبوعة، وأصدر كتابين احدهما مترجم «تقنيات اللون للفنان التشكيلي» و «خمسون عاماً من الرسم»، وقد ترأس جماعة «الوان» للفنون التشكيلية ولم يزل، وكان معرضه الأول خارج السعودية، في متحف فوريست بارك في ولاية ميسوري الأميركية عام ١٩٥٢، ولعله كان اول معرض لفنان سعودي خارج بلاده.

تصحيح:- اول مشاركة